

الفصل السابع

الفتوحات الإسلامية في فرنسا
بعد بلاط الشهداء

الفتوحات الإسلامية في فرنسا بعد بلاط الشهداء

لم يكن استشهاد عبد الرحمن عبد الله الغافقي وأحداث معركة بلاط الشهداء لتحول دون توقف حركة المد الإسلامي في سهول فرنسا الجنوبية ولكن اعترافا للحقيقة فإنه لم يكن في قوة اندفاعه واستعداده وتجهيزه مثلما كان عليه الحال قبل معركة بلاط الشهداء مباشرة واما مقام به الغافقي من أعمال كبيرة قد استنفذت كثيرا وأرهقت مصادر الاندلسي .

وتذكر المصادر أنه بعد استشهاد عبد الرحمن الغافقي وعودة القوات الإسلامية إلى الجنوب في اتجاه الاندلس فإن الجنود العائدة من أرض المعركة اتجهت إلى اريونه ومرت على مقربة من «جيرييه» وغزت في طريقها بلدة «ليموزين» واستولت على مدينة «سوليتال» وحين أحس الجيش الإسلامي بأن أحداً من قوات أوربا والفرنجة والعصابات المرتزقة لم تتحرك وراه ويتعقبه خوفاً من أن تكون خطة الانسحاب خدعه عسكريه يقع في شركها جند شارل مارشل ، فإنهم تمهلوا في سيرهم ، وجمعوا واحداً منهم ونسقوا صفوفهم واتجهوا صوب الاندلس على مهل دون خوف من أي قوة أوربية .

وكانت القيادة السياسية في القيروان قد اسرعت وعلى وجه السرعة والتعجل خوفاً على البلاد فاصدرت أوامرها بتولى قائد وحاكم جديد للاندلس خلفاً للشهيد الغافقي هو عبدالملك بن فطين الفهري وتشير المصادر الأوربية إلى أن الوالي الجديد استطاع بمساعدة أحد قواده الذين كانت لهم خبره ودرايه في الأقاليم الجنوبية بفرنسا هو يوسف الفهري أن يفتح مدن (ارل ، اينيون ، مالانس ، ليون) وثبت حدود املاك المسلمين هناك ، ثم اخضع إقليم «دوقيتيه» الذي يمتد شرق نهر الرون ويشمل جزء كبير كما يعرف اليوم بالريفير الايطالية واشتغل بعد ذلك بإعادة سلطان المسلمين على نواحي جبال البرت ويلاحظ أن المسلمين اتخذوا سياسة جديدة لحكم ما بيدهم من أراضي فرنسية وهي إقامة حاميات قوية في المدن

وتحصين قلاعها واتخاذ هذه القلاع مراكز للحكم والحرب وهكذا كان الحال في ليون و ايتبون التي يسميها المسلمون صخره ايبنون وارل وغيرها .

وبذلك فقد تحدثت المصادر عن نشاط جهادي قام به عبد الملك بن فطين الفهري (١١٤ - ١١٦هـ) ، (٧٣٢-٧٣٤م) عن نشاط جهادي فيما وراء البرانس ، وذكرت المصادر الأوربية نفسها قائلة أن أول عمل اهتم به عبد الملك هو السير إلى الأراضي الفرنسية بعد أن وحد كلمه جنوده وجميع قواتهم وذلك لاقرار النفوذ والسلطة الإسلامية بهذا الانحاء بل أن هذه المصادر تذكر أنه وصل إلى مدينة «لانجودك» في الأراضى الفرنسية شمالا واهتم ببناء المعادل والحصون وحصن القلاع القديمة التي كانت لا تزال بأيدي المسلمين وامدها بالرجال والعتاد وقام ببناء قلاع جديدة وكان اهالى اقليم سيطمامته Septimima والتي تقع جنوب شرق فرنسا قد خشوا أن يقعوا تحت سيطرة شارل مارتل فاستعانوا بالمسلمين المتحصنين فى أربونه وحالفوا جند الإسلام وثبت المسلمون في ولايتي بوجونيا وليون . وكان عام ١١٥هـ/٧٣٣م قد شهد تحركات الفهري فيما وراء جبال البرانس وانه غز أرض الباسك ، ولا سيما ان هناك احتمال بأن يكون عبد الملك بن فطين الفهري هذا هو الذي تولى قيادة القوات الإسلامية المنسحبة من بلاط الشهداء جنوبا بعد استشهاد الغافقى وأنه ربما يكون بمساعدة الأول وأنه اشترك فعلا فى هذه المعركة لأنه تم تعيينه في داخل الأراضى الأندلسيه ولم يكن حاكما قادمًا من المغرب كما كان يتم في تعيين بعض الولاة لأن تعيينه تم على وجه السرعة ولذا كانت له خبرة بالمناطق الشمالية .

وقد ذكرت المصادر الأوربية أن قائد جيش المسلمين في مدينة اربونه وباقي الولايات بفرنسا الجنوبية قام بعدة غزوات بما كان لديه من قوات وتطلق عليه هذه المصادر يوسف وهو ربما يكون يوسف الفهري وكان هذا الوالى قد جمع قواته وتحرك بها لكي يثبت لشارل وقواته قوة الجند الإسلامي وإنه لازال يفتح البلاد والحصون في نفس عام المعركة ١١٤هـ ولهذا فإنه عبر نهر الوردانه واستولى على

مدينة اراك وسيطر على اقليم بروفانس جمعيه واستولى على بلدة فرنا ثم توجه بعد ذلك نحو ابنسون واقتحمها وتم الاستيلاء عليها ووصلت جيوش المسلمين إلى نهر «الديوراس» ووقفوا عند هذا الحد بعد ان استعادوا بقيادة يوسف هذا جزء من الأراضي الفرنسية ، كانوا قد فقدوه بعد معركة بلاط الشهداء وخرج من يد السيطرة الإسلامية ، وهكذا ثبتت أقدام المسلمين في هذا الجزء من فرنسا ولم يجروا أحد على منازعتهم السلطة فيها وحافظ المسلمون على ممتلكاتهم فيما وراء السفوح الشمالية لجبال البرنيه لاسيما (ناربونه Narbonne التي ظلت لفترة ما قاعدة الغزوات الإسلامية في وادي الرون إلا إنهم عمليا لم يتجاوزوا بعد ذلك شمالا وانحسرت موجه الحرب المنظمه لتتحول إلى نظام تقليدي يشبه كثيرا نظام الصوائف (حملات كانت تتم في فصل الصيف وكان يقوم بها المسلمون كل عام)، فقد احاط بالتحركات العسكرية في تلك الفترة شىء من الغموض والمعلومات التي ترجع إليها وتستخدمها تكاد تقتصر على المصادر الأوربية ، وتذكر أن حاكم ناربونه Narbonne يوسف بن عبد الرحمن الفهري (٧٣٤م) أوغل في وادي الرون واستمر نحو أربع سنوات في هذه المناطق يقاتل ويستولى على المدن قبل أن يعود إلى ناربونه. ومن المعتقد أن تراجعهم جاء في أعقاب هجوم معاكس قام به شارل مارتل الذي كان مشغولا عن المسلمين باعداء كثيرين من ابناء جنسه في شمال مملكته مما أتاح للمسلمين أن يتركوا طوال هذه السنوات الأربع ويعيدوا تنظيم أنفسهم من جديد حيث كان شارل يعمل على اخضاع شعوب السكسون وينظم الكنيسة المسيحية في جنوب ألمانيا ومساعدة بونيفاس في تحويل قبائلها إلى المسيحية وساعد اللمباردين حلفائه ضد البابا جريجوري الثالث واستولى على بعض اراضى الكنيسة لمنحها لاتباعه وقام بتعيين أعوانه في الاسقفيات الشاغرة وبذلك لم يكن مستعدا للقاء المسلمين ولم ينتهز المسلمين هذه الفرص للحشد والإنطلاق والتوسع وإضافة إلى أن الخلافة الأموية في دمشق في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) كانت لها مشاغلها الكثيرة ولذا شهدت القيروان تغيرات اداريه واسعة . ولم تكن الخلافة في تلك الفترة تضع في حساباتها التوسع والإنطلاق بصورة قوية مثلما حدث من قبل في بلاط الشهداء ولم تكن بلاط الشهداء هي التي أوقفت التوسع

والإنتشار لانه ليس الهزيمة في معركة هي الأولى من نوعها في تاريخ المسلمين في أوروبا تحول دون الانطلاق ولكن الظروف الداخلية كانت السبب ، لاسيما أن الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ) كان لا يزال في الخلافة بعد معركة بلاط الشهداء (١١٤هـ) وانه لم يكن يريد المغامرة في حرب واسعة النطاق في فرنسا ، تعد لها الخلافة كل مواردها بعد أن تم اسر أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل ومقتل أكثر من ثمانية آلاف جندي في هذه المعركة ، ولهذا فإن هشام بن عبد الملك ربما يكون وراء عدم الموافقة على الحشد الكبير للغزو الواسع . والاكتفاء بغزوات محدودة في جنوب فرنسا وعدم التوغل بعيدا إلى الشمال بمسافات طويله عن العاصمه قرطبه ، أو عن رجال البرانس فهي يسهل حركة الإمداد والعودة إلى القواعد الجنوبية في فرنسا ولذا لم تكن الخلافة على استعداد للدخول في معركة أخرى مثل بلاط الشهداء . لاسيما أن جميع الخلفاء الذين جاءوا بعد هشام بن عبد الملك ، الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ) هي عام واحد ثم يزيد بن الوليد أقل من ستة أشهر (١٢٦هـ) ثم ابراهيم بن الوليد (١٢٦هـ) عدة شهوره وقد كانت هذه الفتن والخلافات والصراعات في البيت الأموي بدمشق عاملا قويا لاختلاف حوله في عدم قدرة الدولة على الغزو بكثافة في فرنسا لاسيما أن هشام بن عبد الملك كان خاتم الخلفاء الأقوياء في الدولة الأموية .

وجاهد المسلمون سبعين عاما لمواصلة فتح المغرب وهزموا أكثر من ثلاث مرات بل تمت ابادته كامله للقوات ومع هذا تم اعادة فتح المغرب (انظر موسوعه تاريخ المغرب ، الجزء الأول، تأليف الدكتور عبدالفتاح مقلد الغنيمي ١٩٩٤م مكتبته مدبولي) لكن شارل مارتل كان منهمكا في مشاكله وإعاده الترتيبات العسكرية في دولته والاستعداد لادني تطور من جانب المسلمين والعمل على تحصين خطوط دفاعاته ، لكن شارل اراد اختبار قوة المسلمين مرة أخرى لكنه هزم حيث أنه قام بمحاولة حصار القاعدة الإسلامية (ناريونه) ولكن حاكم الاندلس أرسل فرقة لانقاذ المدينة مالبت أن اصطدمت مع الفرنجيه في معركة عند بيبير (Berrel) وهو مجرى ماء صغير إلى الجنوب من ناربونه، الا أن قوات شارل منيت بهزيمة قاسيه حيث

دافعت المدينة عن نفسها بشراسة ، لكنه كرر المحاولة مرة أخرى وعاد إلى حصار المدينة لكن فشلت المحاولة للمرة الثانية واضطر إلى الانسحاب تاركا وراءه القتلى والمعدات والعتاد وهو مقتنع بقوة المسلمين رغم بقائهم في هذه القاعدة فقد الكثير من قوة اندفاعه وقوته وحماسة وتصميمه القديم ، وظلت ناربونه قاعدة المسلمين الدائمة في اقليم سينمائيه؟ تشكل جرحا غائرا في جسد شارل وثغره دائمه في دولته حتى موته في نهاية اكتوبر عام ٧٤١م ، وهذا خير دليل على صلابه الجند الإسلامي وقد فشلت كل محاولاته السابقة والتي سعى إلى السيطرة عليها واستهدفت مالدورها في تحصينات قوية وموقع بحري ممتاز يسهل لها عمليات المساعدة من جانب القوات الإسلامية حيث كان المسلمين يرون فيها المحطة الباقية شمال جبال البرانس وهي بدايه طموحاتهم لاستعادة ما فقدوه في فرنسا وشهدت حركة التوسع الإسلامي شمال جبال البرانس في الأراضى الفرنسية تحركا فى عهد عقبه بن الحجاج السلولي (شوال ١١٦ - صفر ١٢٣هـ) (٧٣٤هـ - ٧٣٩م) وانطلاقه اخرى وتدعيما للنفوذ الاسلامى فى هذه المناطق التى بسطوا سيطرتهم عليها وفى ذلك أربونه وقرفشونه وكذلك مقاطعة البروفانس Provence شمال سينمائيه إلى الشرق من عاصمتها اينبون Arignon على وادي نهر الرون Rhone ومقاطعه براجونيا Purunda شمال مقاطعة البروفانس وقد سار على خطى عنبسه بن سحيم الكلبي فى التوسع شمالا لكنه لم يتطرق إلى الأجزاء الغربية فى فرنسا .

وتشير المصادر إلى أن محاولات عقبة السلولى كانت آخر المحاولات الاسلامية حيث كان من القواد الكبار حيث النزعه الحربية البارزة والإجتهد فى مواصلة السياسة الإسلامية التوسعية والذي كان يخطط له وكانت أهم عملياته العسكرية فى اقليم براجانديه ، والبروفانس والدونيه Dauphine (٧٣٩م) ولكن هذه الجهود لم تكن لتضع قواعد ثابتة وتوسع فعلى يثبت الكيان الإسلامي فى هذه المناطق المفتوحة بل كانت مجرد غارات ثم العوده إلى نقطة الإنطلاق ذلك لأن شارل مارتل كان يترصد باهتمام اخبار ونشاطات هذا القائد ومن ثم مالبت أن أرسل فى

أثرة اخاه (شلدبراند) Childbrand . أحد كبار القواد البارزين في مملكة الفرنجة واستنجد من جديد كل طاقات حلفائه الأوربيين في إجراء يشبه إلى حد كبير ماجرى قبل معركة بلاط الشهداء وبعد انتصارات الغافقى الواسعة قبل هذه المعركة حيث عزم شارل على وضع حد للهجوم العربي الإسلامي لاسيما وأنه كان قد فرغ من القضاء على كل أثر لأعدائه في فرنسا وجنوب المانيا وكل القوى المعارضة له في هذه الاقاليم لاسيما السكسون .

وكان عقبه هذا رجلا مجاهدا مثله مثل عبد الرحمن الغافقى مسلما صلبا قوي الإيمان والعقيدة عادلا متفانيا في القيام بأعباء منصبه الجديد لذا سار نحو دوقيه واستولى عليها ثم استولى على مدينة «سان بول تردا» ودوتريز ثم اتجه شمالا في جراه وحزم فاستولى على اقليم فالانس وأيضا مدينة فنين بل انه كاد أن يقترب من مكان بلاط الشهداء فى تحركه شمالا حيث صعد مع نهر ردانه (واعاد فتح اقليم بورجونيه ورحل إلى بيدمنت فى شمال ايطاليا .

وبدأ المسلمون يستعيدون مراكزهم من جديد في أرض فرنسا ، واحس شارل مارل بالخطر للمرة الثانية يتهدد بلاده بعد تقدم المسلمين إلى جنوب فرنسا بحشود ضخمة ومجهزه بأحدث الأسلحة العصريه يحدوهم الأمل في الانتقام لما حدث في بلاط الشهداء (ابواينة) وكان شارل قد انتهى من حروبه مع اعدائه في شمال البلاد ومن ثم فقد كانت كل الظروف تساعد للانصراف كلية لمحاربه المسلمين الذين اندفعوا كالسيل العرم في الجنوب واستطاع أن يحشد قوات عسكرية كبيرة وولي أخاه شلديراند قيادة الجموع يساعده في القيادة بقوات حاشدة أيضا ملك بيدمنت الإيطالي الذي بدأت ارضيه تدخل في حوزة الإسلام والمسلمين وذلك لوقف رحف المسلمين إلى الشمال ووصل شلدبراند إلى «ابنسيون» وكان المسلمين قد احسنوا تحصينها وحشدوا فيها الرجال والعتاد فعجز عن فتحها وعن كسر مقاومه جندها . فاستنجد بأخيه شارل مارتل بعد أن استحالت عليه المدينة وقدم شارل بمجد كثيف وشدد الاخوان الحصار المحكم على المدينة وأمام هذا الضغط الطويل

والعنيف واستمرار الحصار وقلّة المؤن والعتاد وعدم وصول المدد الإسلامي من الجنوب لهذه المدينة المحاصرة فلم يستطيع المسلمون الاستمرار في الدفاع عن اينسبون ولا سيما وقد تأخر وصول الامدادات الحربية من الاندلس .

ومع هذا فإنهم رفضوا تسليم المدينة واستماتوا في الدفاع عنها ودافعوا دفاع الأبطال ولكن الفرنجية استطاعوا فتحها واستخدموا كل وسائل القتل والحرق والهدم ضد المدينة وسكانها من المسلمين وجاءت إلى المدينة جيوش جرارة من الفرنجية ازالته كل أثر للمسلمين في تلك المدينة .

وبعد ذلك تقدم جيش الفرنجية إلى الجنوب نحو اربونه يقوده شارل مارتل صاحب معركة بلاط الشهداء ومع أخيه وقوات ملك بيدمنت الإيطالي وذلك على معقل المسلمين الرئيسي في فرنسا وكان قائد جند المسلمين في ذلك الوقت رجلا اسمه (هرثمه) جمع قوات المسلمين حوله وحصن المدينة واستعد للدفاع عنها حتى آخر جندي مسلم وشدد شارل الحصار على مدينة (اربونه) بقوات كبيرة ودافعت حاميتها الإسلامية عن أرضها ومدينتها دفاع الأبطال فلم يدرك شارل وجنوده أي منال ورغم أنه شدد الحصار إلى أنه اضطر إلى رفع الحصار والتقهقير أمام الدفاع الإسلامي القوي وعاد إلى الشمال بعد أن فشل في فتح مدينة اربونه واستطاع المسلمون أن يكبدوه خسائر فادحة عند انسحابه وذلك بسبب مهاجمتهم مؤخره جنده وأسر العديد من هذه القوات ، ويبدو أن سكان هذه المناطق قد شجعوا المسلمين على الدفاع عن المدينة وامدوهم بالمساعدات وعملوا على عدم مساعدة شارل مارتل ولذلك فإن شارل مارتل قد انتقم من أهل فرنسا ليعزى نفسه عن الفشل أمام حصون اربونه القوية فخرّب حصون النصارى في جنوب فرنسا وخرّب مدينة بيزته ، واجده وتيممه ، وهذا دليل قوى على أن سكان جنوب فرنسا كانوا يفضلون حكم المسلمين على حكم شارل مارتل .

ونعود إلى دور عقبة السلولي في تلك المناطق فنجد أنه قد غاب عن المسرح السياسي في قرطبه بإنقلاب تم ضده . وبوفاة السلولي تنطوي آخر صفحات

الفتح في جنوب فرنسا ونهبي فترة الفتوحات في تلك المناطق بعد أن ارتبط اسمه بإحدى هذه الغزوات الكبيرة في شمال جبال البرانس ، ولكن عقبة كان كغيره من القواد الكبار السابقين له (السمح الخولاني ، عنبسه الكلبي ، عبد الرحمن الغافقي) لم يحالفهم الحظ في فتح كل فرنسا فبعد عدة هجمات سريعة في منطقة الرون Rohne وقاتل بقايا القوط في اقليم جليفيه وشن عليهم حربا ضارية لكن ذلك لم يوضح الصورة تامه عن نهايته ذلك كان الغموض يحيط بمصير عقبة بعد توقف زحفه أمام الحشد الاوربي مرة ثانية بقيادة شارل مارل ولاسيما أنه لا توجد اشارة إلى استشهاده في هذه المعركة عند محاولة رفع الحصار الأوربي عن ناربون Norbonne لكن أصابع الاتهام تشير الى انقلاب جديد ضده في قرطبه واستولى الحاكم السابق للبلاد (عبد الله بن فطين الفهري) على مقاليد الأمور في الأندلس .

لكن الدكتور عبد العزيز السيد سالم يذكر أن عقبة السلولي استشهد في معركة عند مدينة قرقوشه ، إحدى مدن قاطعة سينمانيه في صفر ٢٣ ١هـ لعله وهو عائد إلى الأندلس بعد جهاده في فرنسا وربما كان عقبة ينوى التوجه إلى غرب فرنسا بعد أن وطد الأمور في مقاطعة بوجنديا Burgundia شمال مقاطعة البروفانس وكذلك مقاطعة البروفانس Provence شمال سينمانيه إلى الشرق وعاصمتها اربونه وقرقوشه واحدة من مدنها وتقع المقاطعه جنوبي فرنسا وشرقها عبر شاطئ البحر المتوسط وملاصقة جبال البرت ومن هنا كان عليه بعد أن وطد النفود الإسلامي في تلك المناطق أنه يتجه إلى غرب فرنسا يجتاز أقليم اقيطانيا متجها إلى المكان الذي جرت فيه معركة بلاط الشهداء وهذا ما يمكن أن نوضحه للقارىء الكريم عن خطه الفتح التي سار بها عقبة السلولي لاسيما انه كان يتحرك وفق خطه علمية مدروسة في الفتح وراء البرت متعاوننا مع حكام الولايات السابقة لاسيما أنه استمر يحكم البلاد خمس سنوات قضى معظمها غازيا في جنوب فرنسا وبذلك تنتهى المحاولات الاسلاميه لغزو أوروبا بوفاة عقبة السلولي حيث السرعة البارزة لاجتهاده في

مواصلة السياسة التوسعية ولكن هذه الجهود لم تحقق التوسع النهائي بضم فرنسا وتكوين دولة اسلامية فرنسية تجاور الاندلس لان شارل مارتل الذي توفي عام ٧٤١م بعد وفاه عقبه السلولي بعامين (٧٣٩م) كان يترصد باهتمام اخبار هذا القائد الذي هو صورة لموسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقي ومالبت أن أرسل أخاه «شليدبراند» Childerbrand أحد القادة البارزين بين قواده حيث وضع حدا لتوغل عقبه السلولي .

وهكذا كان عقبه بن الحجاج السلولي خاتمة الولاة العظام الذين قاموا بدور بارز في الجهاد وراء جبال البرانس حيث كانت تلك السمة البارزة لعهد الولاة وهو النشاط الواضح لعمليات الجهاد وراء جبال البرانس رغم ما أصاب ذلك من توقف لظروف داخلية وخارجية فإن أحداث الصراع بين العباسيين والأمويين وأحداث الشرق انعكست بدورها على دور الاندلس في نشر الإسلام شمال هذه الجبال العاليه الشامخة ذات المعابر الضيقة القليلة .

وجاء بعده حكام ضعفاء كانوا أعجز من أن يحافظوا على تراث القواد الكبار الذي بذل في فتح تلك المناطق فقد تبذرت تلك المساحة الواسعة التي خضعت للمسلمين في فرنسا ولم تعد لهم غير رقعة صغيرة ظلوا متمسكين فيها حيناً من الزمن هي ناربونه Narbonne التي صمدت صمود الابطال أمام هجمات شارل مارتل وأخيه شليدبراند ، لكن شارل مارتل أصبح أقوى شخصيه في أوروبا بعد انتصاره على العرب المسلمين عام ١١٤هـ / ٧٣٢م حتى وفاته عام ٧٤١م وقد استطاع بثمرة التمتع هذا الانتصار أكثر من تسع ستوات وكذلك انتصاره على قبائل اليرين الوثنية ، ولم يعد بطل المسيحية ومنقذها من العرب يقف أمام الملك بلباس محافظ القصر بل كان هو الملك الفعلى حيث أمسك بيده كل أطراف السلطة وجمد منصب الملك (تيودوريك الرابع) ليتاح له ولأبنائه أن يكونوا ملوك المستقبل (بين القيصر) وحفيده شارل مارتل .

لكن النفوذ الإسلامي لم يكن ليدوم له الحال في ناربونه لاسيما أن خليفة شارل مارتل ابنه بيان القصر Peptnlbref (١٣٣هـ/٧٥٢م) قد حارب المسلمين في الجنوب وقد ظل بيني القصر يحكم مملكة الفرنجة مدة تقترب من سبعة عشر عاما (٧٥١-٧٦٨م) وفي عهد بيني القصير ، ابن شارل مارتل ضعف النفوذ الإسلامي إلى حد كبير والتواجد الإسلامي في جنوب فرنسا ، حقيقة عاد المسلمون لغزو جنوب فرنسا عدة مرات واجتياح المناطق الواقعة على الناحية الأخرى من جبال البرت الا أن هذه العودة كانت مؤقتة وكان باهتا في امكان تثبيت أقدام المسلمين في تلك الجهات ومتابعة نشاطهم فيها ISCOTT, History of Moorish Empire in Euorpe p209 (اراء غربية عكس حقيقة الواقع الإسلامي والتأثير القوى الفعال في تلك المناطق) كما كان من أثر موقعه بلاط الشهداء وتغير الاحوال في شبه الجزيرة الاريتريه وتولي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (١٣٨هـ) الحكم في الاندلس حيث تثبت دولة الفرنجة في عهد بين القيصير ابن شارل مارتل سياسة جديدة ترمي إلى تعضيد روح الثورة والفتنة في الاندلس الإسلامية ذاتها توطئة للانقضاض عليه لطرد المسلمين منها بعد أن انهارت سيادتهم وسلطتهم في جنوب فرنسا وأصبح في الإمكان احداث ذلك أيضا في الاندلس .

وكان سكان سيطماتيه المسيحيون قد وثبوا تحت قيادة القوطي انسمندس Ance-mundas وبمساعدة جيش الفرنجة على المسلمين في سيطماتيه وتم طردهم من أهم مدنها عام ٧٥٢م أي في سنوات قليلة بعد دخول عبد الرحمن الداخل إلى الاندلس واستعاد الفرنجة مدن نيمه وأجد ويزلى وماجلون وفرضوا الحصار على اربونه كما سيف القول ونجح المسلمون خلال الحصار في قتل القائد القوطي . وطال حصار المدينة نظرا لانشغال بينين القصير في اخماد بعض الثورات في بلاده . وكان أول عمل قام به عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨) بعد أن تولى الحكم بعامين فقط (١٤٠هـ/٧٥٨) أن حاول فك حصار اربونه فأرسل فرقة من جيشه لذلك ولكنها فشلت في اخراج المدينة من محتتها وقضى مسيحيوا

جبال البرت على هذه الفرقة (لاحظ خطورة هذه المعابر على تحرك المسلمين للشمال وصولاً للأراضي الفرنسية) وأعقب ذلك تأمر المسيحيين من أهل المدينة مع بينين القصير لتمكينه من دخول المدينة وتمت المؤامرة ودخل الفرنجة مدينة اربونه بعد أن أجهز المسيحيون على الحامية الإسلامية فيها عام ٧٥٩م/١٤١هـ وفقد المسلمون هذه المدينة بعد أن خضعت للحكم الإسلامي نحو أربعين عاماً وانعش هذا الفتح مملكه الفرنجة في عهد بين القيصر واعتبرت جبال البرت الحدود الطبيعية لبلاد . وبهذا القت اربونه سلاحها الأخير على يد بينين القصير Pepinlebruf بعد أربع سنوات من الدفاع المستميت وكان ذلك مؤذن للمسلمين بأن أحلامهم التوسعية في أوروبا وراء جبال البرنيه قد انتهت وافتنعوا منذ سقوط اربونه بالانصراف إلى الاندلس ومعالجة شئونها الداخلية لأن أوروبا في عهد خلفاء شارل مارتل الاسرة الكارولونجية) لم تعد تمارس الدور الدفاعي ضد غزوات العرب المسلمين وإنما انتقلت الى الهجوم على الاندلس نفسها معلنة حرب الاسترداد التي أخذت بدايتها في عهد شارلمان حفيد شارل مارتل لمحاولة طرد المسلمين من الاندلس وإعادتها إلى حظيرة المسيحية من جديد راسماً سياسة متحينة الفرص لإخراج هذه السياسة إلى حيز التنفيذ .

ولقد كانت هناك عدة أسباب لم يستطع المسلمين السير على هداهما للحفاظ على الأراضي الفرنسية شمال جبال البرانس، ذلك أنهم لم يستغلوا التنافس الذي ظهر بين أبناء شارل مارتل بعد وفاته واضطراب الأمور في مملكته بعدموته ، ذلك أن التنافس كان بين ثلاثة من أبنائه لكن بينين القصير الثالث حسم الأمر لنفسه لكن الظروف لم تساعد المسلمين على الاستفادة من هذه الفرصة استفادة كاملة ولا حتى انتهازاها .

ذلك لان فتنة البربر في الاندلس وأفريقية (المغرب) كانت إذا ذاك على أشدها فتوقف المسلمون عن امداد قواتهم الإسلامية فيما وراء جبال البرانس وحدثت بعض الفتن والنزاع بين القيسييه والسبائية حال دون الانطلاق لتوطيد دعائم

المقاطعات الثلاث الكبرى في جنوب فرنسا وتركت دون حماية حتى كان عام ١٤١هـ/٧٥٩م نهاية الوجود الإسلامي في فرنسا وهكذا وضعت نهاية للوجود الإسلامي لاسيما وأن المسلمين كانوا قد استولوا بالتدريج علي نصف فرنسا الحالية الذي يبدأ من ضفاف نهر اللوار وينتهي عند مقاطعة فرنسش كونته وهناك ترك المسلمين أثراً عميقاً في اللغة والدم فقد استقر اكثرهم في الأراضي الواقعة قريبا من المدن واشتغلوا بالزراعة والصناعة وأدخلوا صناعة السجاد إلى أبوسون) وعلموا الأهالي كثيرا من أساليب الزراعة كما امتزجوا بالسكان وأصبح للعرب أحفاد في اماكن كثيرة في فرنسا كما اثبتت ذلك دراسة على الأجناس البشرية» وقد تحدث أحد رؤساء الجمهورية الفرنسية السابقين (جاستود ومرج) فقال أن المسلمين كانوا أرحم الفاتحين وأكثر الأمم الناهضة القوية شهامة وعدلا وهذه العوامل النبيلة قد ساعدت في انتشار سلطانهم وخضوع الأمم لحكمهم العادل الشريف .

وقد ساعد الفرنسيين ومن تحالف معهم على انهاء هذا الوجود ان قيادة القوات الإسلامية في أرض فرنسا قد صارت بعد هرثمه إلى عبد الرحمن بن علقمه اللخمي وكان هذا يمينا متعصبا فلما سمع بمقتل عبد الملك بن فطين القهري وهو من بني جلده وجنسه قرر حشد كل قوات فرنسا شمال جبال البرانس (والانسحاب الإسلامي من فرنسا) وتقدره المصادر الأوربية بمائة ألف مقاتل وسار بها لمساعدة أبناء عبد الملك بن فطين في الاستيلاء على السلطة وحكم الأندلس وأدى هذا الانسحاب القوى إلى ضعف شأن المسلمين في فرنسا وكان هذا التحرك العسكري بقوات المسلمين عوده إلى الأندلس بدلا من زيادة هذه القوات والتوسع نجدها تعود من أجل العصبية وكان ذلك سببا قويا أدى إلى زوال سلطان المسلمين في تلك البقاع وكان تورط حاكم المناطق شمال جبال البرت والدخول في الصراع الدائر على أرض الاندلس بين الفئات المتحاربه قد أفقده خيرة جنده في هذا الصراع وكانت هذه الصراعات من الأسباب القوية التي أضاعت أمل المسلمين في الثبات فميا وراء البرانس، وكان من جراء هذا الانسحاب المكثف والصراعات والتحركات

العسكرية الإسلامية تاركه أرض فرنسا أن تخلص سكان سيتماتيه ومدنها مثل تيمه مجاونه بيزيه من الحكيم الإسلامي وقامت بها حكومات محليه من أهلها وكذلك كون سكان امارات البرانس مثل كيتزيه وتيريه حكم محلى لهم بعد أن خلعوا طاعة المسلمين وصار أمر أهلها بأنفسهم .

ولكن عندما استقر أمر الأندلس (ليوسف الفهري ١٢٩هـ/١٣٨هـ - ٧٤٧/٧٥٦م) فإنه ارسل ابنه عبد الرحمن الى النواحي الشماليه من البرانس لإقرار أمرا الإسلام بها لكنه لقي مقاومة عنيفة وكانت المواصلات بين المسلمين في اربونه وبين المسلمين في شمال الأندلس قد قطعت فطمع فيهم قافر بن اودو دوق اكوثانيه وكان عبد الرحمن اللخمي قد عاد إلي اربونه بعد هزيمته في الأندلس ولكن امره كان قد ضعف بسبب مافقده من جنده في الأندلس (ابراهيم طرخان: المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ص ١٥٨ - ص ١٦٨).

لكن كيف طويت صفحة من صفحات النضال الاسلامي في فرنسا من أجل نشر العقيدة الاسلامية السمحة في القارة الأوروبية بعد كفاح دام أكثر من خمسين عاما على ربوع هذه الأراضي . وتقول عودة لما ذكر سابقا أن الأمور بعد أن استقرت في شمال فرنسا ليينين القصير بن شارل مارتل حيث كان المسلمون يسيطرون على جنوب البلاد فانه استطاع ان يقضى على كل المنازعات ويدعم ملكه في الشمال ولما كان تفرغه لانهاء الوجود الاسلامي في جنوب بلاده وخاصة اربويه وقد سبق الحديث عن ذلك . لكن بعد أن سقطت اربويه عام ١٤١ هـ / ٧٥٩ م لم يتبقى في فرنسا كلها الا جماعات صغيرة من المسلمين سيطرت على بعض نواحي مدن دوفيه، دوقنيه، كونيته، تيس .

واعتمت جماعات منهم في شمال جبال الألب الغربية وظلت هذه الجماعات تقيم في تلك الأنحاء فترة طويلة من الزمن، بل أن بعض المصادر الأوروبية منها تذكر أن هؤلاء المسلمين قد استولوا بعد سقوط اربويه على جرينوبل، وقد يكون ذلك كرد فعل على سقوط مدينة اربويه في أيدي الفرنجة فاستطاع المسلمون

السيطرة على المدينة وقد ظلت هذه الجماعات الاسلامية متحصنة فى حصونها فترة تزيد على مائة وثلاثين عاما بعد سقوط أربويه (٢٧٢ هـ / ٨٨٩ م المعقل الرئيسى والقوى فى الشمال فى أيدى الفرنجة وقد وصل المدد والعون الاسلامى لتلك المناطق من جزيرة صقلية بعد أن سيطر عليها المسلمون وفتحها بنى الأغلب حكام تونس .

وقد كان لسقوط أربويه أثر كبير فى ضعف الوجود الاسلامى فى جنوب فرنسا اذ بسقوطها انتهى الوضع الاسلامى نهائيا فى فرنسا وقطع رجال العصابات المسيحية فى عمات جبال البرت الاتصال مع هذه البقايا وكان من الطبيعى أن لا يصل أدنى مدد عبر تلك الممرات الى بقايا الوجود الاسلامى لاسيما ان حركة الاسترداد قد استمدت العون من فرنسا وكانت هذه بداية الانهيار الاسلامى فى الأندلس، راجع كتاب كيف ضاع الاسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون تأليف الدكتور عبدالفتاح الغنيمى القاهرة (١٩٩٣).

ونهاية تقول انه لم تكن هذه المعارك التى دارت رحاها فى سهول فرنسا ولا سقوط الحصون الاسلامية فى جنوبها هى التى منعت المسلمين من العودة الى هذه الأقاليم والاصرار على الفتح ونشر العقيدة الاسلامية فى ربوع أوروبا وليس فرنسا فقط وإنما الذى أوقف المد الاسلامى فى فرنسا وباقى الدول الأوروبية المجاورة والوصول الى القسطنطينية ثم دمشق فى ذلك الوقت هم المسلمون أنفسهم بما نشب بينهم من فتن عصبية بين العرب أنفسهم من يمينه وسبائيه وعدنانية (قسيسه) وبين العرب والبربر من ناحية أخرى وما حرمهم عن مواصلة الفتوح الاسلامية فى أوروبا غير أحقاد النفوذ والسلطة والرغبة فى أن تكون الولاية والقيادة لعصبية دون عصبية غيرها، ولم تكن قوة الفرنجة كما حاولت ان توضح تلك المصادر الأوروبية سببا فى التوقف عن الفتح ثم الانهيار فى النهاية، ان الاسباب السابق الاشارة اليها كانت هى الاسباب القوية وراء انهيار الوجود الاسلامى فى جنوب فرنسا وشمال جبال البرت بل ان بعض هذه العوامل فعلت فعلها فى معركة بلاط

الشهداء وكما قالت أستاذة الجيل الدكتورة (بنت الشاطيء) عائشة عبدالرحمن لقد نجح العرب المسلمون حضاريا بما قدموه للبشرية، لكنهم فشلوا سياسيا وذلك فى احدى مقالاتها الاسبوعية التى تكتبها فى صحيفة الأهرام القاهرية كل خميس من كل اسبوع.

وبذلك تكون بهذه العجالة قد استطعنا أن نلقى الضوء على معركة بلاط الشهداء (أبواتيه) المقدمات والنتائج والعوامل المؤدية الى انهيار الوجود الاسلامى فى فرنسا وكيف أن انهيار الوجود الاسلامى فى أربويه عام ١٤١ / ٧٥٩) كان مقدمة نهاية الوجود الاسلامى فى الأندلس ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م. وتلك صفحات عن بلاط الشهداء التى دارت رحاها على أرض فرنسا عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م. معركة دارت أحداثها منذ مايقرب من ثلاثة عشر قرنا عام ١١٤ هـ - ١٤١٥ هـ / ٧٣٢ - ١٩٩٤ لكن صداها يتردد فى عصرنا الحديث لاسيما منذ ظهور حركة الصحوة الاسلامية فى بداية الثمانينات من القرن العشرين هى احياء للذاكرة العربية الاسلامية لكن كتاب الغرب الأوربيين لازالوا يذكرون أحداث هذه المعركة بنشر كتب ظهرت حديثا تحاول أن تحذر الأجيال الحاضرة من مخاطر الصحوة الاسلامية لاسيما فى شمال أفريقيا (بلاد المغرب العربى) لأنهم كانوا فى ذلك خطرا مباشرا على الكيان المسيحى فى الزحف الاسلامى الواسع الانتشار عبر الهجرات المتصلة والتى تستقر فى فرنسا لاسيما أن فرنسا يوجد بها حاليا (١٩٩٦م) أكثر من اربعة ملايين مسلم من بينهم حوالى ثلاثة ملايين حاملين للجنسية الفرنسية ويكونون نواة للوجود الإسلامى سوف تزداد مع المستقبل.